تظاهرة

انطلقت، أمس، في مدينة مالمو السويدية، فعاليات الدورة الأولى من «معرض الكتاب العربي في اسكندنافيا»، وتستمر حتى 23 منه، بمشاركة عشرين ناشراً عربياً وأجنبياً وكتّاب وباحثين عرب وأجانب. «المعرض ضرورةٌ وليس مجرّد رفاهية، خصوصاً في ظلّ موجات النزوح الأخيرة»، يقول منظّمو التظاهرة لـ «العربي الجديد»

جمع شمل في مالمو

كتب عربية على ضفاف البلطيق

محمد علاوة حاجي

من على صهوةٍ حصانه الذي يتوسّط ساحةً تاريخية سُمّيت باسمه في مدينة مالمو، أقصى جنوب السويد، يُتابع غوستاف أدولف الثاني (1594 - 1632)، حركة المارّة، باندهاش ربّما. فالملك السويدي، الذي لُقّب بـ«أب الحرب» لتفوّقه في حروبه التي واجه فيها جيرانه الأوروبيين، يرى حوله، الآن، أشخاصاً من خلفيات ثقافية مختلفة، وهؤلاء ليسوا سيّاحاً بالضرورة.

لا عجب، فهنا ستلتقي بمواطنين سويديّين قادمين، أو تنحدر أصولهم، من 175 بلداً. نصف سكّان هذه المدينة المطلّة على بحر البلطيق، والبالغ عددهم قرابة 400 ألف نسمة، هم من المهاجرين، ويشكّل العرب، لوحدهم، قرابة 15% بالمائة من العدد الإجمالي. رقمٌ لا شكّ أنه في ارتفاع مع موجات النزوح الأخيرة من سورية وبلدان عربية أخرى.

بإمكانك تلمُّس مظاهر الحياة والثقافة العربيّتَين في المدينة: مقاهٍ عربيةٌ في كلّ شوارعها تقريباً، أحدها يحمل اسم «أم كلثوم»، ولا مكان فيه لغير الموسيقى الشرقية التي يقدّمها فنّانون عرب. غير بعيد، ستجد الكثير من المكتبات التي تبيع إصدارات باللغة العربية. السينما العربية حاضرةٌ هي الأخرى، بل إن مالمو باتت تحتضن، منذ 2011، مهرجاناً خاصّاً بها.

ما الذي ينقص إذن؟ لعلّه السؤال الذي جمع عبد اللطيف حاج محمّد، وهو صحافي وكاتب سوري قدِم إلى السويد حديثاً، مع أربعة مهاجرين عرب آخرين؛ هم صحافيون وروّاد أعمال: علاء القط، وعلاء البرغوثي، ومازن الزيّات، وحازم أبو يونس. أمّا الإجابة فكانت: «معرضاً للكتاب العربي».

لم ينتظر الفريق طويلاً، وبدأ بتجسيد مشروع سيحمل اسم «معرض الكتاب العربي الأوّل في اسكندنافيا»، بالنظر إلى كونه الأوّل في السويد، والبلدان الاسكندنافية عموماً، ويُنتظَر أن تُقام فعاليات دورته الأولى في قاعة «بالتيسكا هالن» بين العشرين والثالث والعشرين من نيسان/إبريل الجاري، بمشاركة عشرين دار نشر عربية وأوروبية، تحضر بقرابة ألف عنوان، إضافةً إلى عددٍ من الكتّاب والباحثين العرب والأجانب.

في حديثٍ إلى «العربي الجديد»، يقول حاج محمّد إن الفكرة جاءت في محاولةٍ لسدّ فراغ تعيشه الثقافة العربية في السويد: «إقامة معرض للكتاب العربي ضرورةٌ وليست مجرّد رفاهية، خصوصاً في ظلّ موجات النزوح الأخيرة. صحيحٌ أن ثمّة مكتبات تُوفّر كتباً بالعربية، لكن الخيارات تبقى محدودةً جدّاً بالنسبة إلى القارئ بهذه اللغة. كما أن أسئلة كثيرةً تأتينا من السويديين حول الثقافة العربية. ولعلّ الكتاب هو أفضل طريقة لتقديم أجوبة غير تقليدية عنها».

تبنّت المشروعَ «مؤسّسة ابن رشد التعليمية»، وهي منظّمة شبه حكومية تأسّست عام 2002، وتنشط في مجال الاندماج ومكافحة التمييز والعنف وتوضيح الالتباس القائم في المجتمع السويدي حول الجاليات المسلمة وثقافاتها. وباستثناء علاء القط الذي يعمل في المؤسّسة، فإن بقية فريق المعرض تعمل بشكل تطوّعي.

تقول المؤسّسة إنها تطمح، من خلال هذه التظاهرة الثقافية، إلى «تمهيد الطريق نحو تهيئة بنية مؤسّساتية واجتماعية من شأنها تعزيز الثقافة لتحقيق حرية التعبير وتعزيز ثقافة الاندماج في المجتمعات الاسكندنافية، واستحداث نماذج من التعاون والشراكة بين الناشرين العرب ونظرائهم الاسكندنافيّين في حقلَي النشر والترجمة».

يعتقد حاج محمّد أن تنظيم معرضٍ للكتاب من شأنه تلبية حاجيات الجالياتٍ الناطقة بالعربية في بلد مشبَع بالثقافة ويولي اهتماماً فائقاً بالكتاب والقراءة: «هناك 299 بلدية، وفي كلّ واحدةٍ منها مكتبة مركزية ومكتبات صغيرة. الكتب موجودةٌ بلغات مختلفة بما فيها العربية. غير أن المطلوب منك، كمهاجر، هو أن تكون جزءاً من هذا المجتمع، من دون أن تتخلّى عن خصوصياتك الثقافية. لذلك، نحاول أن نكون همزة وصل بين السويدي والسويدي الجديد». وعن معايير اختيار دور النشر المشاركة، يقول: «في بلد ديمقراطي كالسويد، ليس ثمّة معايير كتلك التي نعرفها في البلدان العربية. حرصنا على أن تكون جميع المجالات حاضرةً؛ الأدب والفكر والعلوم، وكتب المرأة والطفل، كما سيكون للكتب التعليمية نصيب بارز؛ من خلال سلاسل مدرسية خاصّة بتعليم العربية، بهدف تعزيز الثقافة واللغة العربيتَين في السويد». يعترف حاج محمد أن «ضيق الوقت جعلنا نعتمد بشكل أساسي على علاقاتنا الشخصية مع الناشرين وصنّاع القرار الثقافي العرب. ولعلّ ذلك ما يفسّر غياب ناشرين من بلدان المغرب العربي، وهو ما سنحاول تفاديه في الدورات المقبلة».

من جهة أخرى، يشير إلى أن «السلطات السويدية وفّرت تسهيلاتٍ لإقامة التظاهرة، لناحية الجوانب الإدارية والتنظيمية وشحن الكتب وتوفير فضاءٍ للمعرض، كما أننا لمسنا أصداء إيجابية جدّاً من السويديين العرب، وغير العرب أيضاً، خصوصاً من الشباب».

تحضر في هذه الدورة عشرون دار نشر عربية وأجنبية؛ من بينها: «الشبكة العربية للأبحاث والنشر»، «والمؤسّسة العربية للدراسات والنشر»، و«المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، و«المكتبة العربية في مالمو»، و«منشورات المتوسّط»، و«ناشرون» و«دار المتوسّط» و«دار الفكر»، و«مناهج العالمية»، و«جسور للترجمة والنشر»، و«دار الفكر»، و«دار القمر»، و«مسكلياني»، و«دار المشرق»، و«منتدى العلاقات العربية والدولية»، إضافةً إلى ستّ دور نشر من السويد؛ هي: «سندباد»، ونيبون، «وهيغاس»، وفيرس إيدوكايشن»، و«بوغسان».

على هامش المعرض، يُقام عدد من الفعاليات الثقافية التي تتوزّع بين الندوات الفكرية والقراءات الشعرية وجلسات البيع بالتوقيع، إضافةً إلى العروض المسرحية والموسيقية. في اليوم الأوّل، يقدّم الشاعر والناشط السياسي السوري المقيم في السويد، فرج بيرقدار، قراءات شعرية، ويوقّع الروائي إبراهيم الجبين روايته «عين الشرق»، وتُقام جلسة نقاش بعنوان «الحب في الإسلام» بمشاركة من كلّ من جورج كدر وخلف علي الخلف.

وتقام في اليوم الثاني، ندوة بعنوان «كيف أصبحتُ روائياً»، تتضمّن شهادات لكتّاب عرب؛ هم: إبراهيم الجبين، ودنى غالي، وربعي المدهون، وزينب الكناني، وشاكر الأنباري، وفجر يعقوب، ومفيد نجم، كما تُنظّم ندوة حول «المرأة وأدب المهجر» بمشاركة كاتبات عربيات مقيمات في السويد؛ هن: أسيل العامري، وأزهر جرجس، ولميس كاظم، والكاتبة النرويجية لينا ستيلباري.

وتُقام في اليوم الثالث فعاليات متنوّعة؛ من بينها عرض في الرقص التعبيري تقدّمه «فرقة آرام للفنون الشعبية» السورية بإشراف عوني موعد، وفقرات خاصّة بالطفل، تتضمّن مسرح الدمى وقراءات كتب أطفال بالعربية والسويدية وعرض مسرحية عربية سويدية. ويُخصّص اليوم الأخير للقراءات الشعرية التي يقدّمها كلّ من: عدي الزعبي، وربعي المدهون، وتمام هنيدي.

مالمو همزة وصل بين السويدي والسويدي الجديد

20 ناشراً عربياً وأجنبياً وغياب ناشري بلدان المغرب

من ساحة غوستاف أدولف، مالمو

منذ القرن السابع عشر

طيلة أيام المعرض الأربعة، يُقام معرض تشكيلي حول الملك السويدي، كارل الثاني عشر (1697 - 1718) الذي لجأ إلى مدينة إسطنبول عام 1700 وعاش فيها فترةً، قبل أن يعود إلى بلاده ومعه حاشيةٌ من المسلمين واليهود الذين استقرّوا في السويد، وتركوا بصماتهم فيها إلى اليوم. لعلّها إشارة بأن الحضور المشرقي إلى الشمال ليس طارئاً كما يبدو لبعضهم، وأنه لم يكن فحسب بسبب مصائب الأوّل، ورفاهية الثاني.

تصويب

مأزق الطيور

ألتشين سيفغي صوتشين

أفكّر في الطيور
بأجنحتها المحصورة
وهي تحترق على أشجار الزيزفون.
أفكر في أطفال ملثمين سُرقت أحلامهم
يعانقون أوراق الأشجار.
يقول أحدهم
في العتمة المتعمّقة
إن عيون الاستبداد كبيرة
وعيونه تصوّر جحيمًا جنونيًا.
في الميدان دوي القلوب
لا يتّسع للصدور
قلوب الأطفال مثل الطيور
تضطرب.
أفكّر في الطيور
بأجنحتها المحصورة
وهي تحترق على أشجار الزيزفون.
أفكر في الأمهات
المجروحات مع أطفالهن
تمزّق نومهم
بأعقاب الخوف.
يقول أحدهم: عيون الاستبداد كبيرة
ويحرّك الأشجار
لكن الأشجار تقاوم
ولا تسلّم الأطفال
أفكر في الطيور
والأطفال الذين سُرقت أحلامهم
وامرأة تغنّي
وهي تحتضن الأشجار:
هنا مأزق الطيور
هنا مأزق القلوب
تعال هنا لا يهم من أنت
هنا مأزق الشعوب.

(elçin sevgi suçin شاعرة من مواليد دينزلي بتركيا. ترجمة من التركية: محمد حقي صوتشين)

إطلالة

عبادة الأبطال

ممدوح عزام

يتهم العديد من الكتاب في الغرب الاسكتلندي توماس كارلايل بأنه قد حثّ، منذ القرن التاسع عشر، في كتابه الذي اتخذ اسم «الأبطال» على عبادتهم. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية أكثر من مرة، ومنها ترجمات مختصرة اقتصرت على بضع مقالات، أو ترجمات اختصرت مقالات الكتاب كلّه. ومن النادر أن نجد نقاشاً ما حول رسالة الكتاب في الفكر العربي. بخلاف ما يحدث في الفكر الغربي، حيث رأى كثير من الكتّاب -في القرن العشرين خاصة- أن كتاب كارلايل تنظير خطير للدكتاتوريات، والنظم الشمولية. خاصة حين طغت على القرن الماضي أسماء مثل هتلر وموسوليني وستالين وماو تسي تونغ وكاسترو إلى العشرات من الطغاة الصغار الآخرين الذين تشبهوا بهم وحاولوا تقليدهم، في بلدان العالم الثالث.

اللافت أن نلاحظ اليوم، في سورية مثلاً، الآلاف من الذين لم تعد لديهم حلول لما يمرّون به من مصاعب سوى انتظار البطل. ولا يزال بعضهم يفكّر أن الحلول الوحيدة، أو الراجحة لأزمات أي بلد إنما هي وجود الشخصية الكاريزمية التي تستطيع أن تلم الشتات من بين أفراد الشعب، وتبعث الميت. وهي نظرة تنم في الغالب عن احتقار الجماعة، أو الشعب. كما أنها تزدري الإنسان العادي. والأخطر منها أنها تلخّص الكل في الواحد البطل. وهناك من يسجّل أو يطوّب ثورات القرن العشرين، خاصة في البلدان التي تحرّرت من الاستعمار، بأسماء الأبطال، ويجري إهمال أو إلغاء أدوار الأفراد الآخرين الذين حققوا الانتصارات. وتشهد السجالات التي تنشأ على هوامش الثورة السورية، نشاطاً في استدعاء البطل. ويتمثّل هذا الاستدعاء في شكلين، أو خطين. الأول يطارد أبطال الماضي، سواء من التاريخ الإسلامي الغابر، أو من التاريخ الحديث والمعاصر، كي يأتي بهم إلى الحاضر. والراجح أن هذا الميل يعكس الرغبة في التعويض عن إحساس ضمني بالهزيمة العسكرية والسياسية و«الأخلاقية» ربما لمشروع الثورة. والثاني يحاول أن يخطط لاستحضار البطل من المستقبل، زاعماً أنه الأمل الوحيد. واللافت هنا أن يكون أحد المقترحات مستمدا من وصفات قديمة بالية، تستنجد بالمنقذ الفريد، أو ترشّحه للقيادة. ومنها فكرة المستبد العادل التي تداولها مفكرون عرب من محمد عبده إلى توفيق الحكيم.

ولدى النقد الروائي مساهمات تؤكد حضور هذا الميل في نظرية الرواية. وتعريف البطولة الروائية، في النقد، يكاد يتتبع نظرية الأبطال. فـ«البطل في الرواية، شخصية مركزية تدور حولها شخصيات ثانوية، تضيئها وتستضاء بها، وتنتج فعلاً روائياً يعيد تعريف الشخصيات جميعاً»، وسبق للناقد الماركسي رالف فوكس أن كتب مقالة غاضبة قال فيها «إن الروائي الحديث في تخلّيه عن خلق البطل من أجل مهمّة تصوير الناس العاديين في ظروف عادية، قد تخلّى عن الحياة نفسها». وهو تنظير شديد الغرابة من ناقد ينتمي إلى نظرية تكاد تؤلّه الجماهير.

وللأمر علاقة قوية بالخلاف حول وظيفة الرواية ودورها الجمالي والمعرفي، فهل تعيد المجد للبطل بوصفه علامة تاريخية، أم تسحب البساط لتمدّه تحت أقدام صانعي التاريخ الحقيقيين؟

القصة القصيرة **موعد مع دوامة الجوائز**

أزمة اعتراف أم تلقّي؟

تتسرّب الإشاعات عن قرب إطلاق جائز للقصة على غرار «بوكر للرواية العربية»، فهل ستُطبع مئات المجموعات القصصية سنوياً، وتُعقد الملتقيات للتبشير بقصة جديدة؟

فاتح المدرس، 38,5 × 29,5 سم، الوان مائية على ورق، 1981

محمود منير

لم تصمد طويلاً اشتغالات عدد من النقّاد العرب على تأصيل القصة القصيرة عبر إعادتها إلى النماذج الإحيائية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، سعى أصحابها إلى محاكاة الموروث السردي القديم من مقامات ورسائل، كما في أعمال ناصيف يازجي (1800 – 1871) وأحمد فارس الشدياق (1804 – 1887) في لبنان، ومحمد المويلحي (1858 – 1930) في مصر.

تُستعاد هذه المقدّمة كمحاولة لفهم ما اصطلح عليه عربياً بـ«أزمة القصة القصيرة»، عند الإشارة إلى قلّة الإنتاج القصصي، أو عدم وجود ظواهر لافتة، أو في إجراء مقارنات بينها وبين الرواية بوصفها أكثر رواجاً وتلقى «اهتماماً» نقدياً وإعلامياً وعلى مستوى الجوائز.

استقرّ الاعتراف بالقصّ كفن مستقل منذ بداياته الحقيقية في عشرينيات القرن الماضي، وتحديداً على يد كتّاب مصريين، مثل محمود تيمور ويحيى حقي ومحمود طاهر لاشين، وإن ظلّت «الحدوتة» هي العنصر الأساس الذي بُنيت عليه نتاجاتهم، التي لم تحظ بكثير اهتمام أو جدل كما حدث مع شعراء التفعيلة أو النثر.

ورغم الاطلاع المبكّر على القصة في الأدبين الفرنسي والإنكليزي، تحديداً، قبل أن تتداخل تأثيرات أخرى من الروسية والألمانية وأميركا اللاتينية في فترة لاحقة، إلّا أن مرحلة النضج جاءت متأخرة قليلاً لأسباب قد تتعلّق بمكانة السرد القصصي كجنس أدبي مستقلّ في الثقافة العربية.

ويحضر هنا نجيب محفوظ الذي أصدر مجموعته القصصية الأولى «همس الجنون» (1938)، عمله الأدبي الثاني، ولكنه لم يول القصة الأهمية التي أولاها للرواية، بدليل إصداره مجموعته القصصية الثانية «دنيا الله» عام 1962، كما أنه ترك عشرات القصص في المجلّات من دون أن تُنشر في كتاب.

التياران الأبرز في القصة العربية كانا في واقعية يوسف إدريس في الخمسينيات، وغرائبية زكريا تامر في الستينيات، واللتين تشكّلان ذروتين رئيسيتين في تطوّرهما وتأثّر الأجيال اللاحقة بهما، وبعد ذلك لم تجد محاولات التجريب باسم الومضة أو القصة القصيرة جداً صدى وأثراً، لتنطلق التوصيفات حول أزمتها منذ تسعينيات القرن الماضي؛ أي بعد أقل من نصف قرن من ازدهارها النسبي.

في الوقت نفسه، كان انشغال المؤتمرات وتأسيس الجوائز والسجالات الصحافية تتركّز على الشعر ومعاركه بين الحر والتفعيلة والنثر، ولم تنل القصة الحظّ ذاته وظلّ حضورها هامشياً بشكل أو بآخر.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

إصدارات

صدر مؤخراً عن «دار نينوى» كتاب **من التفكيك إلى التأويل** للباحث السوداني **عبد المنعم عجب الفيا**. يقدّم العمل النظريات الفلسفية التي أثّرت في الأدب والنقد المعاصرين، ثم يبيّن كيف تبلورت في نظريات أدبية خالصة، مثل نظرية موت المؤلف لـ رولان بارت، ونظريات النقد الحديثة لدى نورثروب فراي.

بترجمة أنجزها عبد اللطيف الصدّيقي، تعيد «دار التكوين» إصدار كتاب **الإله والدولة** أشهر مؤلفات المفكر الفوضوي الروسي **ميخائيل باكونين** (1814 - 1876). العمل الذي كتب سنة 1871، يناقش فيه باكونين ما يسمّيه «التنازل عن العقل البشري»، وفيه يساجل تيارات الفكر المهيمنة على أوروبا في القرن التاسع عشر من المثالية الألمانية إلى اليسار الطوباوي الفرنسي.

عن منشورات «فضاءات»، صدر مؤخراً كتاب **نقد الزيف وزيف النقد** للكاتب والصحافي المصري **محمود الغيطاني**. يوجد العنوان الفرعي للعمل فكرته؛ «احتضار النقد العربي»، حيث ينطلق المؤلف من تجربته في الكتابة الإبداعية والصحافة ليرصد مظاهر تخلّي النقّاد عن دورهم في الساحة الثقافية العربية اليوم.

التراث اللامادي في مراتع الهلاليين هو عنوان الدراسة التي أصدرها مؤخراً الباحث التونسي **الأزهر بلوافي** عن «دار العلم». يرصد العمل من زاوية أنثروبولوجية، وتحديداً من منهجيات مجال دراسات التراث، المتغيّرات الثقافية التي عرفتها أفريقية (تونس) في العصر الوسيط جرّاء هجرات الهلاليين من المشرق.